

الفرج بعد الشدة

[288] الباب التاسع من شارف الموت بحيوان مهلك رآه * فكفاه اﷻ سبحانه ذلك بلطفه

ونجاه عن ابراهيم الخواص قال: ركب البحر مع جماعة من الصوفية فكسر المركب بنا فنجى منا قوم على خشب من خشب المركب فوقعنا إلى مكان لا ندرى أي مكان هو فأقمنا فيه أياما لا نجد ما نقتاته فأحسنا بالموت فقال بعضنا لبعض تعالوا حتى نجعل اﷻ على أنفسنا أن ندع له شيئا فلعله يرحمنا فيخلصنا من هذه الشدة فقال بعضنا: لا أفرط الدهر. وقال بعضنا: أصلى كل يوم كذا وكذا ركعة. وقال بعضنا: أدع اللذات، إلى أن قال كل منا شيئا، وأنا ساكت فقالوا لي: قل شيئا. فلم يجئ على لساني إلا أن قلت لا آكل لحم فيل أبدا. فقالوا: الهزل في مثل هذا الحال ؟ فقلت: واﷻ ما تعمدت الهزل، ولكني منذ بدأت وأنا أعرض على نفسي شيئا أدعه ﷻ عزوجل فلا تطاوعني ولا يخطر على قلبي غير الذي لفظت به وما أجرى هذا على لساني، ولا ألهمه قلبي إلا لامر. فلما كان بعد ساعة قال بعضنا: لم لا نطوف في هذه الارض متفرقين فنطلب قوتا فمن وجد شيئا أنذر به الباقيين والموعد هذه الشجرة. قال: فتفرقنا في الطرق فرجع أحدا بولد فيل صغير فلوح بعضنا لبعض فاجتمعنا فأخذه أصحابنا واحتالوا فيه حتى شووه وقعدوا يأكلون وقالوا: تقدم. فقلت: أنتم تعلمون أنني منذ ساعة تركته ﷻ عزوجل، وما كنت لارجع في شئ تركته له، لعله جرى ذلك على لساني لاجل موتى من بينكم، لاني ما أكلت شيئا منذ أيام، وما أطمع في شئ آخر، وما يراني اﷻ أنقض عهده ولو مت، واعتزلتهم وأكل أصحابي وأقبل الليل، وتفرقنا إلى مواضعنا التي كنا فيها نبيت وأويت إلى أصل شجرة كنت أبيت عندها فلم يكن إلا لحظة فإذا بفيل عظيم قد أقبل وهو ينعر، والصحراء تتدكدك بنعيه وشدة شغبه وهو يطلبنا. فقال بعضهم: قد حضر الاجل فاستسلموا وتشهدوا وأخذنا في الاستغفار والتسبيح وطرح القوم نفوسهم